التدبر والبيان

في

تفسير القرآن بصحيح السنن

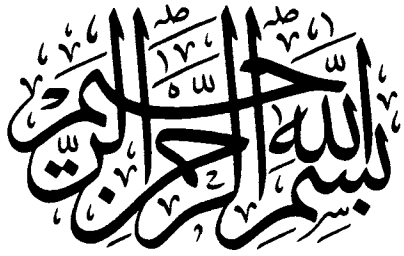
بسم الله الرحمن الرحيم

التدبر والبيان

في

تفسير القرآن صحيح السنن

تأليف الأستاذ الدكتور

أبي سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي

المجلد الأول

الفاتحة ـ البقرة (١ ـ ٧٤)

الطّبعَة الأولى

١٤٣٥ هـ ـ ٢٠١٤ م

الكتاب : التدبر والبيان
في تفسير القرآن بصحيح السنن

Title : AT-TADABBUR WAL-BAYĀN
FĪ TAFSĪR AL-QUR'ĀN BI ṢAḤĪḤ AS-SUNAN

Classification: Exegesis التصنيف : تفسير

المؤلف : أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي

Author : Abu Sahl Muhammad ben Abdur-Rahman Al-Maghrawi.

Pages (40 Volumes) 22072 عدد الصفحات (40 مجلداً)

Size 17 x 24 cm قياس الصفحات

Year 2014 A.D - 1435 H. سنة الطباعة

Printed in : Lebanon بلد الطباعة : لبنـــان

Edition : 1st الطبعة : الأولى

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَةٌ للمُؤلِّف

رقم الإيداع القانوني : ٢٠١٤ MO ٠٤٢٨

ردمك : ٧ـ ١٤٧ ـ ٣٣ ـ ٩٩٥٤ ـ ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التفسير

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[3].

وبعد: فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

نحمد اللَّه تعالى إذ وفقنا لإخراج هذا التفسير المبارك الذي سميته بـ«التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن» وكل مؤلِّف لا بد أن يكون له باعث وسبب في تأليفه، ولا بد أن يرسم لمؤلَّفه هدفًا يصل إليه، فنرجو اللَّه أن يوفقنا لبذل الأسباب التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف السامية المباركة.

---

(١) آل عمران الآية (١٠٢).
(٢) النساء الآية (١).
(٣) الأحزاب الآيتان (٧٠و٧١).

➢ **أسباب التأليف:**

وأما أسباب التأليف فهي عدة، أذكر منها :

■ **السبب الأول:**

أحمد اللَّه وأثني عليه الخير كله أنني لما كنت صغيرًا حبب إلي القرآن وأهله، حيث دخلت إلى الكتاب في سن صغيرة، وكان أول ما غذيت به عقلي وروحي هو كتاب اللَّه تعالى، وما زلت أذكر -ولله الحمد- جميع المراحل التي مررت بها في حفظ كتاب اللَّه؛ من تعلم الحروف إلى ختامه كاملًا، وكان حفظي له في سن مبكرة ولعلها العاشرة أو الحادية عشرة، وفي ذلك الحين كنت أقيم الحلقات القرآنية؛ أملي على الطلبة من حفظي وأعلمهم وألقنهم، واستمررت على ذلك حتى دخلت المدرسة النظامية، ووصلت إلى المرحلة الإعدادية، وفي هذه المرحلة بفضل اللَّه كنت ألقي دروسًا في التفسير، وأصبحت هذه المادة هي المفضلة عندي في جميع مراحل التعليم التي مررت بها، ثم انتقلت إلى المرحلة الثانوية، حيث كان المقرر علينا هو تفسير الجلالين، وكان المدرس لهذه المادة أستاذًا قديرًا يَمَنِيّ الأصل اسمه: علي سنان رَحِمَهُ اللَّهُ، فكنت أطالع لدرسه كتاب «فتح القدير» و«تفسير القرطبي» وغيره من التفاسير، وكان يتعجب من مناقشتي له واستحضاري لكثير من أقوال المفسرين، وفي كلية الشريعة كان يدرسنا العلامة الشيخ محمد المختار الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ مادة التفسير، وكان يعتمد كثيرًا في تحضيره على تفسير القرطبي مع أن المقرر هو تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني، وقبل حضور درسه رَحِمَهُ اللَّهُ كنت أتتبع تفسير القرطبي، وأخرج أحاديثه من مصادرها المسندة، وكثيرًا ما كنت أناقش الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في درجة الحديث صحة وضعفًا، وبتواضعه المعروف رَحِمَهُ اللَّهُ كان أحيانًا يستعين بي في ذكر درجة الحديث، واستمررت في تخريج أحاديث تفسير القرطبي إلى سورة النساء؛ ثم انتقلنا بعد ذلك في فصل آخر في الكلية إلى دراسة سورتي الأنفال والتوبة مع شيخ جليل، ألا وهو الشيخ أبو بكر الجزائري ختم اللَّه لنا وله بالحسنى، زيادة على حضوري لدروس العلامة

الإمام الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره في المسجد النبوي. فكان تفسير القرآن -ولله الحمد- مصاحبًا لي من بداية العمر، ونرجو اللَّه تبارك وتعالى أن يختم لنا بحب كتابه، وأن يجعلنا من خدامه، فلا غرو أن يشغف الإنسان بمحبوب له عرفه بعد نطقه للكلام في صغره.

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

■ **السبب الثاني:**

لما تخرجت من المرحلة الثانوية، واخترت كلية الدعوة في أول الأمر، وكنت في السنة الأولى منها؛ التقيت ببعض المدرسين الفحول، وهو الدكتور محمود فائد رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان يدرسنا مادة التفسير، فاختلى بي يومًا، وسألني عن كيفية التعامل مع التفسير على الطريقة الحديثية، وكانت لي في ذلك الوقت عناية لا بأس بها بدراسة السنة سندًا ومتنًا، وكان المقرر علينا هو كتاب «فتح القدير» للعلامة محمد بن علي الشوكاني اليمني رَحِمَهُ اللَّهُ، فاستشارني الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في كيفية الربط بين كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، فبينت له ذلك.

ولو كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ حيًّا؛ لأهديته نسخة من هذا السفر المبارك، الذي جمع بين القرآن، وفقه السنة، وخلاصة كلام أهل التفسير في كل آية، ولا يسعني الآن إلا أن أدعو له بالرحمة والمغفرة، فإن البارّ بشيوخه هو الذي يذكرهم بخير، ويدعو لهم.

فكان هذا سببًا من الأسباب الدافعة لجمع هذا الكتاب الذي أسأل اللَّه عَزَّوَجَلَّ أن يكون مرجعًا للمدرسين وطلبة العلم، فأرجو اللَّه العلي القدير السميع البصير أن ينفع به، وأن يكون شافعًا لي يوم ألقاه، إنه سميع مجيب.

■ **السبب الثالث:**

لما أنهيت السنة المنهجية في مرحلة الماجستير للدراسات العليا فكرت في تسجيل موضوع لأنال به درجة شهادة الماجستير وكنت في شعبة العقيدة، فوقع في نفسي أن أبين عقائد المفسرين في الأسماء والصفات، فاستشرت الشيخ العلامة حمادًا الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ، فأعجبه الموضوع وأثنى عليه،

فسجلته وسميته «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات»، وقلبت صفحات المفسرين فظهر لي أن الكثير منهم لاسيما المتأخرون -إلا من رحم الله- ذهبوا مذهب التأويل الذي هو التحريف لمعاني آيات الصفات، والقصد هو أنهم ذهبوا مذهب الكلاميين من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، ووجدت أن جميع الفرق المشهورة نهجت المنهج الكلامي من الشيعة والخوارج والأشاعرة والماتريدية، وحتى أصحاب القواميس اللغوية، والذين خصصوا تأليفهم للمفردات القرآنية نهجوا هذا المنهج، ووجدت ثلة قليلة ممن ساروا على درب السلف وأثبتوا الصفات كما أثبتها اللَّه وأثبتها رسوله ﷺ وأثبتها السلف الصالح، وقد أكملت بفضل اللَّه التأليف وناقشته في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وطبعت الكتاب، وقد وجد قبولًا ولله الحمد من قبل القراء، وأعددته للطبعة الثانية، وأضفت فيه من المفسرين ومن كتب اللغة والمفردات ما لم يكن في الطبعة الأولى فأصبح كتابًا كبيرًا جامعًا لكل المخالفين لمنهج السلف في باب الأسماء والصفات مع المثبتين والمتبعين لمنهج السلف الصالح رحمهم اللَّه جميعًا.

فأحببت بعد ذلك أن يكون لي تفسير متكامل سالم في جميع أبواب المعتقد في الأسماء والصفات والألوهية والقضاء والقدر، وبقية أبواب المعتقد؛ لأن الكتاب الأول -أي «المفسرون»- هو بمثابة التخلية والتنبيه على الأخطاء التي وقع فيها المفسرون، وأما التدبر والبيان فهو التحلية، وأرجو أن يكون بناءً متكاملًا في كل أبوابه من التفسير، فالذي ينتقد غيره ينبغي أن يعطي بديلًا عما انتقده، فلعلي أكون قد أدليت بدلوي واجتهدت ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، ولعلمائنا جميعًا منا الدعاء بالرحمة والمغفرة، فقد استفدنا وأفدنا من كتبهم ومصادرهم، ولكن كما قلت في كتابي «المفسرون»: أبى اللَّه أن يتم كتاب إلا كتابه، وقد لا يسلم كتابنا أيضًا من النقص، ومن ادعى الكمال في شيء فذاك دليل على نقصه.

■ **السبب الرابع:**

لقد اطلعت على كثير من كتب التفسير، ووجدتها لا تعنى بنصوص السنة

والاستدلال بها، وإن وُجدت فيها بعض النصوص فيغلب عليها عدم التوثيق والإسناد إلى مصادرها الأصلية، وقد يكون أحيانًا الحديث موضوعًا ولا أصل له، ومن العجيب والغريب أن تفسير الزمخشري على جلالة قدر صاحبه في اللغة العربية وبلاغتها تجد فيه من الطامات الحديثية ما يعرفه المبتدئون في علم الحديث، وخير مثال على ذلك ذكره عند صدر كل سورة حديثًا في فضلها مع أن الذي صح في فضائل السور قليل كما سيتضح ذلك إن شاء اللَّه في ذكرنا له من خلال كتابنا «التدبر والبيان». فلهذا السبب أحببت أن يكون هناك تأليف متكامل في تفسير القرآن بصحيح السنة، وقد تيسر ولله الحمد في ذلك مادة كبيرة كما سيأتي إن شاء اللَّه، وإن كان الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره قد أجاد وأفاد، ولعله لم يسبق له نظير في تصنيفه ما عدا كتب السلف المسندة كابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وعبد بن حميد وعبد الرزاق وسنيد بن داود وغيرهم من الأئمة المسندين للآثار المرفوعة والموقوفة في التفسير. وتبعهم في ذلك الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد جمع فأوعى في كتابه «الدر المنثور» وإن كان لم يلتزم الصحة لكنه يبقى ذخيرة من الذخائر ومرجعًا من المراجع، وقد بدأت تظهر في وقتنا الحاضر بعض الكتب التي تعنى بهذا الموضوع، فجزى اللَّه الجميع خيرًا على خدمة القرآن.

■ **السبب الخامس:**

رأيت بعض كتب التفسير قد سلكت مناهج لعلها لا تربط القارئ بكتاب اللَّه، وتوسعت في بعض العلوم التي إن استطرد فيها الإنسان خرج عن المقصود من هداية القرآن، فأكثروا من التفريعات اللغوية والنحوية؛ بل جعلوا كتبهم وتفاسيرهم متخصصة في قواعد النحو وشواذ اللغة والقراءات، فأشغلوا الناس بأمور لا علاقة لها بمعاني القرآن، وآخرون أغرقوا في محاولة مطابقة القرآن للمخترعات العصرية، فجعلوا القرآن وكأنه كتاب هندسة وعلوم رياضية وكيميائية وفيزيائية وجيولوجية، ولا شك أن الكثير من هذه المسائل فيه انحراف كبير عن حقيقة ما أُنزل القرآن من أجله، فالقرآن هو كتاب هداية كما وصفه من تكلم به، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ

﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (١).

فهو كتاب عقيدة وأحكام، وخلق وتربية، وقصص وأخبار وأمثال، فالواجب على أيّ مفسّر أن يهتدي بهدي السلف في فهم كتاب اللَّه، ولا يخرج عنهم قيد أنملة؛ فإن الانحراف عنهم انحراف عن سبيل المؤمنين.

فلهذا حاولت قدر المستطاع أن ألتزم في تفسيري هذا بالمعاني الهادفة والواضحة، مستنيرًا بطريقة السلف الصالح المثلى.

■ **السبب السادس:**

لما كنت مدرسًا في الدراسات العليا بكلية اللغة العربية اخترت للطلبة كتاب التفسير من صحيح البخاري؛ ليجمعوا بين دراسة السنة وفهم كتاب اللَّه بالفهم السلفي الصحيح، فوجدت هذا الكتاب ذخيرة من الذخائر، ورأيت فيه من التوفيق لصاحبه ما يدل على تقواه وورعه وعلى تعلقه باللَّه في سرائه وضرائه.

وقبل ذلك كنت أظن أن البخاري خصص هذا الكتاب في جامعه ليبين للناس تفسير كتاب اللَّه بسنة رسوله ﷺ، ثم تصفحت باقي «الجامع الصحيح» على أني ولله الحمد كان لي به صلة وثيقة، بل درسته على الشيوخ ودرّسته، فوجدت أن «الجامع الصحيح» من أوله إلى آخره هو من هذا القبيل. فالإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ جعل كتابه «الجامع الصحيح» مرجعًا للأمة الإسلامية في كل عصورها. وقد سئل رَحِمَهُ اللَّهُ: هل كل ما يحتاجه المسلم يجده في سنة رسول اللَّه ﷺ؟ فأجاب: نعم.

فالبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ رسم خطًّا في «الجامع الصحيح» للجمع بين القرآن والسنة في فهمهما وفقههما لم يسبق إليه. ولعل من جاء بعده نسج على منواله. فعزمت أن أجمع كل الآيات التي ذكر في ترجمة أبوابه مضيفًا إليها ما صح عنده من السنة، وأن أُفرد ذلك بعمل مستقل لأبين للناس عناية السلف بفهم كتاب اللَّه بسنة النبي ﷺ، ولما فعلت بدا لي أن أوسع المشروع، فنظرت في

(١) الإسراء: الآية (٩).

كتاب «الدر المنثور» فوجدته من أجمع الكتب في هذا الباب، فأخذت منه ما صح سنده، وما هو مناسب للمقام؛ فإن السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ أحيانًا يستطرد فيذكر رسائل بأكملها، فانتقيت ذلك وحمدت اللَّه على هذه النعمة. ثم نظرت في تفسير الحافظ ابن كثير، فأخذت منه ما زاد على «الدر المنثور»، وما سبق من أحاديث «صحيح البخاري»، ثم نظرت في تفسير القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنه من أكثر الكتب عناية بالأحكام، ومن الكتب الجامعة، فهو اسم على مسمى، فأخذت الزائد على ما سبق. وهكذا نظرت في تفسير الزمخشري والبيضاوي وغيرهم ممن صنف في هذا الباب. فاجتمعت لي مادة حديثية فوزعتها على الآيات حسب موقعها ومدلولاتها، فكان هذا باعثًا قويًّا في هذا الجمع المبارك.

■ **السبب السابع:**

وصف اللَّه كتابه بأوصاف كثيرة مدحًا وثناءً، وجعله مصدر الهداية ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾(٥) . . .

ثم إن اللَّه تعالى أمر بتدبر القرآن في كثير من الآيات، كما قال تعالى في سورة النساء: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(٦)، وفي سورة (ص): ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٧).

---

(١) البقرة: الآية (٢).
(٢) الإسراء: الآية (٩).
(٣) الكهف: الآيتان (١و٢).
(٤) الأنعام: الآية (١٥٥).
(٥) فصلت: الآية (٤٤).
(٦) النساء: الآية (٨٢).
(٧) ص: الآية (٢٩).

واستفهم -تبارك وتعالى- استفهامًا توبيخيًّا لمن لا يتدبر القرآن، وغلظ فيه القول، بل جعل القلوب التي لا تتدبر القرآن قلوبًا مقفلة لا ينفذ لها خير: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[١].

بل جعل تبارك وتعالى الإعراض عن ذلك من تقييض الشيطان ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[٢].

وجعل المعرض عن كتابه أعمى في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[٣].

وذكر اللَّه عن نبيه محمد ﷺ أنه شكا له من قومه أنهم اتخذوا هذا القرآن مهجورًا كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[٤].

فمن يجمع النصوص بكل أطرافها يجدها تدل بل توجب الارتباط بكتاب اللَّه قراءةً وحفظًا وتدبرًا وفهمًا وعلمًا وعملًا. فلذلك أحببت أن يكون هذا السفر المبارك -إن شاء الله- مما تبرأ به الذمة في ربط الناس بكتاب اللَّه ربطًا صحيحًا.

■ **السبب الثامن:**

لا شك أن وجود المسلم وخَلْقَه كان لغاية سامية، فاللَّه تعالى خص الإنسان بالعقل الكامل، وميزه عن سائر الحيوانات، بل سخر له كل ما في الأرض جميعًا وجعله في خدمته، وذلك لا لشيء يختص به، ولكن ليحقق العبودية الكاملة لله. وعبوديته لا تتحقق إلا بإنزال الكتب وبعثة الرسل رغم ما حباه اللَّه تعالى من فطرة سليمة وعقل كامل، فهو لا بد له من نبي يتبعه ويكون قدوة له، فحكمة اللَّه البالغة التي لا مرية ولا شك فيها؛ اقتضت أنه لا يترك عباده هملًا، ولهذا نجد كثيرًا من الآيات القرآنية تبين الحكمة من إنزال الكتب وبعثة الرسل، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا

(١) محمد: الآية (٢٤).
(٢) الزخرف: الآية (٣٦).
(٣) طه: الآيات (١٢٤-١٢٦).
(٤) الفرقان: الآية (٣٠).

أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَم أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[٥]... فالالتصاق بكتاب اللَّه ليس اختيارًا، وإنما هو فرض وإلزام باعتباره السبيل إلى عبادة اللَّه تعالى، وتحقيق الخلافة في الأرض، وكلٌّ بحسبه.

■ **السبب التاسع:**

القرآن كتاب هداية، وهو الكتاب الوحيد الذي اختص بتفصيل المعتقد بأصوله وفروعه، وإسلام المرء لا يتم إلا بتصحيح المعتقد.

ولهذا نجد عناية الرسول ﷺ واضحة في ذكر فضائل سور وآيات المعتقد أكثر من غيرها، كما صح عنه ﷺ في فضل الفاتحة وآية الكرسي وسورة الكافرون وسورة الإخلاص، وما صح عنه ﷺ في فضائل باقي السور لما تحمله من أمهات المعتقد.

فدراسة المعتقد ليس هو من باب الفرض الكفائي، وإنما هو من باب الفرض العيني، وربط الناس بكتاب اللَّه فهمًا ودراسةً هو ربطهم بما يجب عليهم، فالانحراف في المعتقد ليس هو كباقي الانحرافات الأخرى، فاصطلاحاته عند العلماء شديدة، فيصفون المنحرف فيه بالمشرك، ويصفونه بالمرتد، ويصفونه بالمبتدع، كلٌّ بحسبه. أما الوقوع في المعاصي ما خلا الشرك باللَّه فيوصف صاحبها بالفاسق أو العاصي. فلذلك فالعناية بكتاب اللَّه وفهم معانيه تقي المسلم من هذه الأخطار.

---

(١) النحل: الآية (٣٦).
(٢) الروم: الآية (٤٧).
(٣) الزخرف: الآية (٦).
(٤) الحديد: الآية (٢٥).
(٥) المائدة: الآية (٤٨).

■ **السبب العاشر:**

رد شبه أهل الشرك والجاهلية، فإن اللَّه تعالى أنزل القرآن العظيم هدى للعالمين ورحمة لهم، يحمل في طياته كل خير، ويكشف عن كل سوء وباطل يدعيه مدّع، وأول ما نزل نزل في مجتمع عربي جاهلي، يحمل أصولًا جاهليةً ورثها بالتبع عن غيره، وتسربت إليه بطرق مختلفة، فتشابهت شبههم وتطابقت مع المخالفين لدعوات الأنبياء السابقين، فجاء في القرآن العظيم كشف لهذه الشبه التي كان يلقيها إبليس على لسان المشركين والمنافقين والكفرة، ومنها:

● **الشبهة الأولى: الاحتجاج بموروث الآباء وعوائد الأجداد:**

كان من أعظم الشبه التي ورثها المشركون عن الأجيال السابقة والمشركين السابقين؛ ردهم توحيد الألوهية بدعوى أنه مخالف لدين الآباء والأجداد.

وقد ذكر اللَّه عن قوم صالح، وهم من أقدم أمم الشرك بعد قوم نوح وعاد، قال اللَّه فيهم: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[1]، وقالها قوم إبراهيم لما سألهم عن عبادة الأصنام ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[2]، وقالها قوم شعيب، قال اللَّه عنهم: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[3]، وقالها فرعون وقومه لموسى ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾[4]. وأما مشركو العرب فأكثروا من ذكرها، وجعلوها السد المانع بينهم وبين التوحيد، قال اللَّه عنهم: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ

(١) هود: الآية (٦٢).
(٢) الشعراء: الآيات (٧٠-٧٤).
(٣) هود: الآية (٨٧).
(٤) يونس: الآية (٧٨).

ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾[1]، وقال عنهم في سورة الزخرف: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

ويظهر من خلال هذه الآيات أن هذه الشبهة كانت عند عموم الأمم، وأن هذه الشبهة اخترعها المترفون المتمردون على توحيد اللَّه، والذين يرون أن التوحيد سالب لعظمتهم، وأن بقاء الأمم على الشرك يصب في مصلحتهم، سواء كانوا أغنياء أو رؤساء أو لهم شأن وبال في أمتهم. وما أشبه اليوم بالبارحة! فإن دعاة الشرك والبدع والضلالة هم في غالب الأمم من علية القوم، ويرون المصلحة الكاملة لهم في بقاء الأمة على عبادة القبور والأوثان من أشجار، وأحجار، ومغارات، وشيوخ مقدسين... فيحبون أن تبقى الأمم على هذه الوثنية، بل يدعمونها بالمال والمشاركة في كل ما يخدم أهداف هذه الشركيات من حفلات، ومواسم، وذكريات، وغيرها من بحور وأنهار وروافد للشرك الأكبر، فصدق اللَّه العظيم إذ يخبرنا بهذه الآيات العظيمة أن المترفين في كل أمة هم دعاة الشرك والضلال. اللهم يا رب نجنا من شركهم وضلالهم وبدعهم بمنك وكرمك.

- **الشبهة الثانية: التشكيك في النبوات بكون الأنبياء بشرًا:**

هذه الشبهة تواطأ عليها مشركو الأمم السابقة واللاحقة، وهو وصفهم للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بأنهم مجرد بشر، وهذه الصفة في نظرهم تمنع من قبول رسالتهم، مع أن اللَّه تبارك وتعالى عضد رسله بآيات تبين خصوصيتهم، ولم يأت نبي من الأنبياء إلا وله آيات تدفع هذه

(١) ص: الآيتان (٦و٧).
(٢) الزخرف: الآيات (٢٠-٢٥).

الشبهة، وتبين أن لهذا النبي خصائص اختص بها، وآية واحدة من آياته تعجز البشرية عن الإتيان بمثلها، فلو كان هؤلاء يعقلون ويفهمون لنظروا إلى الآيات التي أيد اللَّه بها أنبياءه، فهي تحير العقول، وتبهر الألباب، وتجعلها منقادة -إن كانت عاقلة- لما جاء به هؤلاء الأنبياء الموصوفون بالبشرية.

وكل نبي من الأنبياء رسالته آية من الآيات، وأول آياته دعوته إلى توحيد اللَّه، وكل من يتصفح تواريخ الأمم يرى أن جميع المدعين للنبوة بأي ظهور وُسِمُوا به؛ لا تكون دعوتهم دعوة للتوحيد، وإنما هي دعوات لمآرب وأغراض شخصية يطمع فيها الداعي لنفسه، كدعوات فرعون، وقارون، والملك الذي ناظر إبراهيم عليه السلام، الذي زعم أنه يحيي ويميت... فدعوات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- تتميز بالدعوة إلى التوحيد وإفراد اللَّه بالعبادة، وإلى الشرائع النافعة التي فيها مصلحة الدارين. فلو كانت الأمم تعقل لنظرت إلى حقيقة دعوة النبي عليه السلام، ولصرفت النظر عن هذه الشبهة الواهية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لو بعث نبي من الأنبياء عليهم السلام إلى البشر من غير جنسهم لما قبلوا ذلك، ولطلبوا أن يكون المخاطب من جنسهم حتى يثقوا بخطابه ويألفوه، ولهذا قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[1].

وخلاصة الكلام أن القرآن جاء لتفنيد هذه الشبهة، وأنها دعوى لا معنى لها إلا الانحراف عن النبوة والرسالة، قال اللَّه تعالى عن قوم نوح: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾[2]، وقال اللَّه عن قوم عاد: ﴿أَوَ عَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ﴾[3]، وقال اللَّه عن فرعون وقومه: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾[4]، وقال تعالى عن أصحاب القرية لما جاءهم الرسل من ربهم: ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ

(١) إبراهيم: الآية (٤).
(٢) هود: الآية (٢٧).
(٣) الأعراف: الآية (٦٩).
(٤) المؤمنون: الآية (٤٧).

إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾[٢]، وقال الله تعالى في عموم الرسل: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٣]، وآخرهم الذين قالوا للنبي ﷺ: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾[٤].

وهكذا تجد هذه الشبهة تناقلتها الأمم الرادة لدعوة الأنبياء أمة أمة.

اللهم إنا نؤمن بأنبيائك ورسلك جميعًا لا نفرّق بين أحد منهم، ونؤمن بأنهم دعاة رحمة وهداية، وأنهم من البشر، وأن اللَّه فضلهم وخصّهم على البشر باصطفائهم واختيارهم أنبياء ورسلا لأممهم، فاللهم صل وسلم عليهم جميعًا.

● **الشبهة الثالثة: وصف الأنبياء بأوصاف يريدون بها إبطال النبوة:**

لقد حاول المشركون بكل ما أوتوا من جهد ووسائل أن يردوا دعوة التوحيد بالطعن في الأنبياء عليهم السلام وآخرهم محمد ﷺ، وحاولوا الإطاحة بهم ووصفهم بأوصاف كثيرة، وأن ما أتوا به إنما هو من قبيل السحر أو الكهانة أو الشعر أو غير ذلك مما أرادوا به نفي صفة النبوة والرسالة عنهم، كما قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ

---

(١) يس: الآية (١٥).
(٢) يونس: الآية (٢).
(٣) إبراهيم: الآيتان (١٠و١١).
(٤) الفرقان: الآية (٧).
(٥) يونس: الآية (٢).

هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٥].

● **الشبهة الرابعة: التشكيك في الكتب السماوية:**

لقد كان دأب المشركين في دعوتهم الباطلة التشكيك في الكتب السماوية وكونها منزلة من عند اللَّه، فقالوا بأنها مفتراة، ووصفوها بما لا يليق بها، وبالخصوص القرآن، فقد بذل أعداء النبي ﷺ جهدهم للصد عن كتاب اللَّه، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم، واستعانوا بغيرهم من الحاقدين على النبوة والرسالة من اليهود وغيرهم، ووصفوا هذا الكتاب العظيم بأنه من أساطير القدماء، وأن النبي ﷺ إنما يتعلمها من غيره، ويعينه عليها آخرون، أو أنهم لو شاءوا أن يأتوا بمثله لفعلوا، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۚ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[٧]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٨]،

---

(١) الأنبياء: الآية (٥).
(٢) الصافات: الآيتان (٣٦و٣٧).
(٣) ص: الآية (٤).
(٤) الذاريات: الآيتان (٥٢و٥٣).
(٥) القلم: الآيات (١-٧).
(٦) الأنعام: الآية (٢٥).
(٧) الأنعام: الآية (٩١).
(٨) الأنفال: الآية (٣١).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[5]، وقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ

---

(١) يونس: الآيات (٣٧-٤١).
(٢) هود: الآية (١٣).
(٣) النحل: الآيات (١٠١-١٠٥).
(٤) الإسراء: الآية (٨٨).
(٥) الفرقان: الآيات (٤-٦).
(٦) الشعراء: الآيات (٢١٠-٢١٢).

طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾[2]، وقال تعالى في سورة الحاقة في الرد عليهم: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾[3].

- **الشبهة الخامسة: إنكار البعث والنشور:**

لقد أكثر اللَّه من الرد على هذه الشبهة الباردة، فقال تبارك وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[4]، فصدق اللَّه العظيم في كتابه، فعدله تبارك وتعالى يقتضي أن لا يضيع أحدًا؛ بل هو سبحانه يتجاوز عن المسيئين، ويعفو عن المذنبين، ورحمته وسعت كل شيء، فهو الخالق، وبيده الملك، وهو على كل شيء قدير، وتفرد تبارك وتعالى بكمال العلم، وكمال الحكمة، وكمال القدرة، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ويقول للشيء: كن، فيكون، قال تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ من يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[5]، وقال عز من قائل: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[6]، وقال جل شأنه: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾، ثم قال ردًّا عليهم: ﴿قَدْ

---

(١) الطور: الآيات (٢٩-٣٤).
(٢) القلم: الآيات (٨-١٦).
(٣) الحاقة: الآيات (٣٨-٤٦).
(٤) المؤمنون: الآيتان (١١٥و١١٦).
(٥) الإسراء: الآيتان (٥٠و٥١).
(٦) الزخرف: الآية (١١).